

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يَقْدَمُ:

(المُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

[الْعَهْدُ الْمَكِّيُّ - ج ٢]

www.menhag-un.com

الْقَبَائِلُ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ الْإِسْلَامَ

فَإِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ﷺ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ الَّذِي لَقِيَهُ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ.

عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالُوا لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَنْتُمْ؟».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزَرَجِ.

قَالَ: «أَمِنْ مَوَالِي الْيَهُودِ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلَّمُكُمْ؟!».

قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ.

قَالَ: وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ وَكَانُوا هُمْ أَهْلُ شِرْكٍ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ وَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَبِعُهُ فَتَقَاتِلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ.

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْلِيكَ النَّفَرِ دَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ، تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودَ فَلَا يَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَقَالُوا: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ فَسَقَدُمْ عَلَيْهِمْ فَندَعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجَلَ أَعَزُّ مِنْكَ!

ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاغِبِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا. أَخْرَجَهُ ابْنُ هِشَامٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الدَّلَائِلِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الدَّلَائِلِ» بِإِسْنَادٍ حَسَنِ. كَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ كُلُّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ وَهُمْ أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنُ عُدْسٍ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ وَهُوَ بْنُ عَفْرَاءَ وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حُدَيْدَةَ وَعُقَيْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَادِي وَجَابِرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَبَّابٍ.

لَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ دَعَا قَوْمُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَفَسَا الْإِسْلَامُ فِي الْمَدِينَةِ حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْبُعْثَةِ فِي جَوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَذَلِكَ عِنْدَمَا رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ!

وَكَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي ذَلِكَ الْعَامِ قَدْ اقْتَرَبَ فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَهَيَّأُ لِدَعْوَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ شَأْنُهُ كُلَّ عَامٍ مِنْذُ أَنْ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ فِي السَّنَةِ

الرَّابِعَةَ لِلْبِعْثَةِ، فَاسْتَمَرَ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ حَتَّى آخِرِ مَوْسِمٍ لِلْحَجِّ قَبْلَ الْهِجْرَةِ فَكَانَ كُلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ فِي الْمَوْسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَيِّنَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَتَّبِعُ النَّاسُ فِي مَنَازِلِهِمْ بَعُكَازٍ وَمَجَنَّةً، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمَنًى، يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبْلَغَ رِسَالَةَ رَبِّي، وَلَهُ الْجَنَّةُ؟».

حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: اخْذَرْ غَلَامَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ!

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي».

كَانَ النَّبِيُّ صلی الله علیه وآله يَجِدُ الْعَنَتَ وَهُوَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُؤْوَهُ؛ لِأَنَّ عَمَّهُ كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ يَتَّبِعُهُ وَكَانَ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ أَبُو جَهْلٍ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللَّهِ!

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ كَذَا قَالَ فِي هَذَا السِّيَاقِ: «أَبُو جَهْلٍ» وَقَدْ يَكُونُ وَهْمًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَارَةً يَكُونُ ذَا أَيْ يَقَعُ ذَلِكَ مِنْ أَبِي جَهْلٍ وَتَارَةً يَكُونُ ذَا فَيَقَعُ هَذَا مِنْ أَبِي لَهَبٍ، وَهُمَا كَانَا يَتَنَازَعَانِ عَلَى إِيْذَانِهِ صلی الله علیه وآله.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَتَعْلَمَ كَمْ بَدَلٍ، وَكَمْ ضَحَّى، وَكَمْ اِحْتَمَلَ، اَنْظُرْ فِي عَدَدِ الْقَبَائِلِ
الَّتِي عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا! عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَمُحَارِبِ بْنِ
خَصْفَةَ وَبَنِي فَرَارَةَ وَغَسَّانَ وَبَنِي مُرَّةَ وَبَنِي حَنِيفَةَ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَبَنِي عَبْسٍ وَبَنِي
نَصْرِ مِنْ هَوَازِنَ وَكِنْدَةَ وَكَلْبٍ.

وَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَبَنِي عُذْرَةَ وَهَمْدَانَ وَثَقِيفٍ وَهُوْلَاءَ
جَمِيعًا لَا يَجِدُ عِنْدَهُمْ رَدًّا وَلَا يُعْطُونَهُ كَلِمَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَقُولُ: «هَلْ
مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبْلَغَ كَلَامَ رَبِّي».

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَذَلَ هَذَا الْجُهْدَ كُلَّهُ وَتَحَرَّكَ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْعَظِيمَةَ فِي الدَّعْوَةِ
إِلَى دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَمَا كَانَ مِنْ عَاقِلٍ يَأْخُذُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى إِنْ بَعْضَهُمْ
قَدْ لَامَ سَائِرَهُمْ لَمَّا فَرَطُوا فِي أَخْذِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ أَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَدَعَاهُمْ
إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى:
مِنْ قُرَيْشٍ لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ تَابَعْنَاكَ عَلَى
أَمْرِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يُخَالِفُكَ أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ:
«الْأَمْرُ لِلَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». فَقَالَ لَهُ بَيْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ: أَفَنُهِدُ نُحَوِّرُنَا لِلْعَرَبِ
دُونَكَ، فَإِذَا أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لغيرِنَا! لَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمْرِكَ! فَأَبَوْا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا صَدَرَ النَّاسُ رَجَعَتْ بَنُو عَامِرٍ إِلَى شَيْخٍ لَهُمْ قَدْ كَانَ أَدْرَكَهُ السِّنُّ حَتَّى لَا يَقْدِرَ أَنْ يُوَافِيَ مَعَهُمُ الْمَوَاسِمَ، فَكَانُوا إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِ حَدَّثُوهُ بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسِمِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ فِي مَوْسِمِهِمْ، فَقَالُوا: جَاءَنَا فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَدْعُونَا إِلَى أَنْ نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ وَنَخْرُجَ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا.

فَوَضَعَ الشَّيْخُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَامِرٍ هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ؟
هَلْ لِدُنَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ؟

وَالَّذِي نَفْسُ فَلَانٍ بِيَدِهِ مَا تَقَوْلُهَا إِسْمَاعِيلِي قَطُّ، وَإِنَّهَا لَحَقُّ، فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ! أَيْ مَا ادَّعَى النُّبُوَّةَ إِسْمَاعِيلِي قَطُّ قَالَ: وَإِنَّهَا لَحَقُّ فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ؟!

فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى صِدْقِهِ وَالنَّبِيُّ فَلَوْ كَانَ طَالِبَ مُلْكٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ يَتَجَرُّ بِالْمَبَادِي يَصْنَعُ كَمَا يَصْنَعُ دَهَاقِينُ السِّيَاسَةِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ مِنْ اسْتِمَالَةِ النَّاسِ بِالْأَحَادِيثِ وَالْوُعُودِ الْخَادِعَةِ الْبَرَّاقَةِ وَيُمْنِيهِمُ الْأَمَانِي الْفَارِغَةَ حَتَّى إِذَا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ نَسِي مَا قَالَ وَرَجَعَ فِي وُعُودِهِ، بَلْ قَدْ يَتَنَكَّرُ لَهُمْ وَيُسَفِّهُ عَلَيْهِمْ وَيُنْكَلُّ بِهِمْ وَهَذَا فَرْقٌ مَا بَيْنَ النُّبُوَّةِ وَغَيْرِهَا وَمَا بَيْنَ الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَطَالِبِ الدُّنْيَا.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» وَابْنُ جَبَّانٍ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرِنِي الْخَاتَمَ الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْكَ، فَإِنِّي مِنْ أَطَبِّ النَّاسِ.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُرِيكَ آيَةً؟» قَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَنَظَرُ إِلَى نَخْلَةٍ»، فَقَالَ: «ادْعُ ذَلِكَ الْعَدْقَ»، قَالَ: فَدَعَاهُ، فَجَاءَ يَنْقُرُ، حَتَّى قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْجِعْ»، فَارْجَعَ إِلَى مَكَانِهِ.

فَقَالَ الْعَامِرِيُّ: يَا آلَ بَنِي عَامِرٍ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رَجُلًا أَسْحَرَ!
وَلَوْ جَاءَهُمْ بِكُلِّ آيَةٍ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَأْسَ عِنْدَهُ فِي هِدَايَةِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ الرَّحْمَنِ وَحْدَهُ يُصَرِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ ﷺ عَلَى هَذِهِ الْقَبَائِلِ جَمِيعَهَا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَلَا يُمْنِيهِمْ شَيْءٌ فَمَا لَنَا إِنْ نَحْنُ تَبِعْنَاكَ؟! يَقُولُ «الْجَنَّةُ».

فَلَمْ يَجْعَلْ مَوْعُودًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا لِأَحَدٍ إِنْ هُوَ تَبِعَهُ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ وَلِأَنَّ الدِّينَ دِينُ اللَّهِ وَلِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى التَّزَامِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ فِي النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ؛ فَمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ شَيْءٍ يُعْطِيهِ وَإِنَّمَا كَانَ يَقُولُ لِمَنْ قَالَ لَهُ: فَمَا لَنَا إِنْ نَحْنُ تَبِعْنَاكَ؟ يَقُولُ «الْجَنَّةُ».

يَوْمُ بُعَاثَ

رَوَى الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ يَوْمُ بُعَاثَ يَوْمًا قَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ افْتَرَقَ مَلَأُوهُمْ وَقُتِلَتْ سَرَوَاتُهُمْ وَجَرِحُوا فَقَدَّمَهُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي دُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَبُعَاثُ هُوَ مَكَانٌ وَيُقَالُ حِصْنٌ وَقِيلَ مَرْعَةٌ عِنْدَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بِهِ وَقْعَةٌ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ فَقُتِلَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ كَانَ رَئِيسَ الْأَوْسِ فِيهِ حُضَيْرٌ وَالِدُ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ رَئِيسَ الْخَزَرَجِ يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنُ النُّعْمَانِ الْبَيَاضِيُّ فَقُتِلَ فِيهَا وَكَانَ النَّصْرُ فِيهَا أَوَّلًا لِلْخَزَرَجِ ثُمَّ ثَبَتَهُمْ حُضَيْرٌ فَارْجَعُوا وَانْتَصَرَتِ الْأَوْسُ وَجَرِحَ حُضَيْرٌ يَوْمَئِذٍ فَمَاتَ فِيهَا وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِخَمْسِ سِنِينَ.

وَقَدْ قُتِلَ فِيهَا مِنْ أَكَابِرِهِمْ مَنْ كَانَ لَا يُؤْمَنُ أَيْ يَتَكَبَّرُ وَيَأْنَفُ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى لَا يَكُونَ تَحْتَ حُكْمِ غَيْرِهِ وَقَدْ كَانَ بَقِيَ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّحْوِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولِ الْمَنَافِقُ لَعَنَهُ اللَّهُ.

وَقَدْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْوَقْعَةُ الْعَظِيمَةُ قُبَيْلَ مَقْدِمِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ لِتَهَيَّأَ النُّفُوسُ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ ﷺ وَلِيُظْهَرَ فَضْلُ

الإسلام على الأنصار؛ فقد جمعهم بعد الفرقة وغرس في قلوبهم المحبة بعد
العداوة والوثام بعد الشقاق.



جامع المنهاج النبوة

www.menhag-un.com

مَنْ هُمُ الْأَنْصَارُ؟

الْأَنْصَارُ جَمْعُ نَاصِرٍ كَأَصْحَابٍ وَصَاحِبٍ أَوْ جَمْعُ نَصِيرٍ كَأَشْرَافٍ وَشَرِيفٍ
وَاللَّامُ فِيهِ لِلْعَهْدِ أَيُّ أَنْصَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَالْمُرَادُ بِالْأَنْصَارِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَالْأَوْسُ يُنسَبُونَ إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثٍ
وَالْخَزْرَجُ يُنسَبُونَ إِلَى الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَعْرِفُونَ بِبَنِي قَيْلَةَ وَهِيَ
الْأُمَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ الْقَبِيلَتَيْنِ فَسَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ.

بَدَأَ إِسْلَامُهُمْ ﷺ لَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ الْحَادِيَّةُ عَشْرَةَ مِنَ الْبُعْثَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يَقُومُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا يَفْتَرُ عَنْ ذَلِكَ رَغْمَ ازْدِيَادِ تَضْيِيقِ قُرَيْشٍ عَلَيْهِ
وَإِثَارَتِهِمْ حَوْلَهُ الشَّائِعَاتِ وَالْكَاذِبِ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْإِسْتِجَابَةِ لَهُ فَلَمَّا
اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِدُّ لِدَعْوَةِ الْوُفُودِ
وَالْقَبَائِلِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ.

فَلَمَّا كَانَ مَوْسِمُ حَجِّ السَّنَةِ الْحَادِيَّةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبُعْثَةِ وَأَرَادَ اللَّهُ ﷻ إِظْهَارَ دِينِهِ
وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ ﷺ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ،
لَقِيَ رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ: «مَنْ أَنْتُمْ؟».

قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ.

قَالَ: «أَمِنْ مَوَالِي الْيَهُودِ؟».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكَلَمَكُمُ؟!».

قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ.

وَكَانَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ بِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّ يَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَعِلْمٍ وَكَانُوا هُمْ -يَعْنِي الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ- أَهْلَ شِرْكٍ وَأَصْحَابِ أَوْثَانٍ وَكَانُوا قَدْ غَزَوْهُمْ بِبِلَادِهِمْ -أَيَّ غَلَبَوْهُمْ-، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّ نَبِيًّا مَبْعُوثٌ الْآنَ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ.

فَلَمَّا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُولَئِكَ النَّفَرَ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: يَا قَوْمُ، تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودٌ فَلَا يَسْبِقُكُمْ إِلَيْهِ فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ بِأَنْ صَدَّقُوهُ وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ.

وَكَانُوا -يَعْنِي هَؤُلَاءِ النَّفَرَ مِنَ الْخَزْرَجِ- مِنْ عَقْلَاءٍ يَثْرِبُ أَنْهَكَتَهُمُ الْحَرْبُ الْأَهْلِيَّةُ الَّتِي مَضَتْ مِنْ قَرِيبٍ يَعْنِي فِي يَوْمِ بُعَاثٍ وَالَّتِي لَا يَزَالُ لَهَايُهَا مُسْتَعِرًّا؛ فَأَمَلُوا أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ ﷺ سَبَبًا لِيُوضَعَ الْحَرْبُ فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ فَعَسَى أَنْ يَجْمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ فَسَنَقْدِمُ عَلَيْهِمْ فَندْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ وَنَعْرِضُ الَّذِي أَجَبْنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزُّ مِنْكَ!

ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا
فَكَانَ أَوَّلَ مَسْجِدٍ قُرِئَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي الْمَدِينَةِ مَسْجِدُ بَنِي زُرَيْقٍ.
قَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»: زُرَيْقٌ بِتَقْدِيمِ الزَّايِ مُصَغَّرًا.

وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ إِضَافَةِ الْمَسَاجِدِ إِلَى بَانِيهَا أَوْ الْمُصَلِّي فِيهَا، وَيَلْتَحَقُ بِهِ:
جَوَازُ إِضَافَةِ أَعْمَالِ الْبِرِّ إِلَى أَرْبَابِهَا.

كَانَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزَرَجِ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهُمْ مِنْ بَنِي
النَّجَّارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمِنْ بَنِي زُرَيْقٍ
رَافِعُ بْنُ مَالِكِ الْعَجْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي سَلَمَةَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي
حَرَامِ بْنِ كَعْبٍ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بْنِ عَدِيٍّ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
رِثَابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ الْمَشْهُورِ.

ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي مَعَاذِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ
وَبَعْضُهُمْ لَمْ يَذْكُرْهُ وَهُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ، رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ، مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ يَزِيدُ بْنُ
ثَعْلَبَةَ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيَّهَانِ، عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ
قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ الْقَوْلَيْنِ.

وَعِنْدَمَا ذَكَرَ الرَّوَايَةَ الَّتِي تَقُولُ أَنَّهُمْ سِتَّةٌ وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: قَالَ
مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ: هَذَا عِنْدَنَا أَثْبَتَ مَا سَمِعْنَا فِيهِمْ وَهُوَ الْمُجْتَمَعُ عَلَيْهِ!

بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى

فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبَيْعَةِ وَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ السَّابِقِ فَبَايَعُوهُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فَسُمِّيَتْ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُقْرَأُ لَهُمُ الْقُرْآنَ فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ.

لَمَّا كَانَ مَوْسِمُ الْحَجِّ فِي الْعَامِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْبَيْعَةِ أَيَّ بَعْدَ عَامٍ فَقَطَّ مِنَ التَّقَاءِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْأَنْصَارِيِّينَ السَّتَّةِ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدَّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَوْمُهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا عَشْرَةَ مِنَ الْخَزَرَجِ وَاثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ.

لَمَّا رَجَعَ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ السَّتَّةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ذَكَرُوا لِقَوْمِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فَشَا فِيهِمْ فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ وَذَلِكَ سَنَةٌ اثْنَتِي عَشْرَةَ مِنَ الْبَيْعَةِ وَافَى مَوْسِمِ الْحَجِّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا اثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَعَشْرَةَ مِنَ الْخَزَرَجِ فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السَّتَةِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَامِ السَّابِقِ وَهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ، عَوْفٌ وَمُعَاذُ ابْنِ الْحَارِثِ وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ.

مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ بْنِ عَامِرٍ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ الْعَجْلَانِيُّ وَذَكَوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ.
 وَمِنْ بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزَرَجِ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ.
 مِنْ بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ.
 مِنْ بَنِي سَلَمَةَ قُطْبَةُ بْنُ عَامِرٍ.
 مِنْ بَنِي حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ.
 مِنَ الْأَوْسِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ.
 وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
 لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَؤُلَاءِ عِنْدَ الْعُقْبَةِ بِمَنْىَ فَبَايَعُوهُ فَهَذِهِ بَيْعَةُ الْعُقْبَةِ
 الْأُولَى.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

عَلَامَ كَانَتِ الْبَيْعَةُ؟!

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ» عَنْ عَبْدِ بَنِ الصَّامِتِ قَالَ: كُنْتُ مِمَّنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا: فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ يَعْنِي: عَلَى وَفْقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الْحَرْبُ، عَلَى أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ.

فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ.

وَرَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ عَبْدِ بَنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه) قَالَ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ -وَالْعِصَابَةُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْعَشِيرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ- مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ؛ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ». قَالَ: فَبَايَعَنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

لَيْسَ فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ الصَّحِيحَةِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ كَانَتْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آيَةَ بَيْعَةِ النِّسَاءِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْحُدُودِ بِلَا خِلَافٍ، وَأَيُّنَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى مِنْ الْحُدُودِ؟!

فَمَنْ سَلَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ فِي مَقَالَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذَلِكَ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ، قَالَ: أَيُّ عَلَى وَفَقِ مَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ عَامَ الْحُدُودِ.

وَعَلَى هَذَا مِمَّا نَزَلَ عَلَى وَفَقِ مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَلَيْسَ هَذَا بِعَجِيبٍ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِمُوَافَقَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَيْرِ مَا مَوْطِنٍ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: كَمَا بَيَّنَّاهُ فِي سِيرَتِهِ وَفِي التَّفْسِيرِ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ وَقَعَتْ عَنْ وَحْيٍ غَيْرِ مَتْلُوٍّ فَهُوَ أَظْهَرُ!

وَالصَّحِيحُ مَا قَالَهُ الْحَافِظُ فِي «الْمَتَحِ» أَنَّ الْمُبَايَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ لَمْ تَقَعْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي وَقَعَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ مَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِزِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمَنْ حَضَرَ مِنَ الْأَنْصَارِ «أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ» فَبَايَعُوهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلَى أَنْ يَرْحَلَ إِلَيْهِمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ.

وَمِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً.

وَأَصْرَحُ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمُرَادِ مَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عِبَادَةِ ﷺ أَنَّهُ جَرَتْ لَهُ قِصَّةٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ فَقَالَ عِبَادَةُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَعَنَا إِذْ بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ الْحَقَّ، وَالْأَنْخَافَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمٍ فِيهِ، وَعَلَى أَنْ نَنْصُرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْنَا يَثْرَبَ فَنَنْمُعُهُ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَزْوَاجَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَلَنَا الْجَنَّةُ، فَهَذِهِ بَيْعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي بَايَعْنَاهُ عَلَيْهِ. فَهَذَا هُوَ الَّذِي وَقَعَ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ الْأُولَى.

ثُمَّ صَدَرَتْ مُبَايَعَاتٌ أُخْرَى مِنْهَا هَذِهِ الْبَيْعَةُ الَّتِي فِي حَدِيثِ الْبَابِ فِي الرَّجْرِ عَنِ الْفَوَاحِشِ الْمَذْكُورَةِ وَالَّذِي يُقْوِي أَنَّهَا وَقَعَتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْمُتَمَتِّحَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وَنَزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ مُتَأَخِّرٌ بَعْدَ قِصَّةِ الْحُدَيْبِيَّةِ بِلَا خِلَافٍ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» فِي حَدِيثِ عِبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَايَعَهُمْ قَرَأَ الْآيَةَ كُلَّهَا.

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» قَالَ: فَتَلَا عَلَيْنَا آيَةَ النَّسَاءِ قَالَ: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾.

وَلِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ قَالَ عُبَادَةُ رضي الله عنه: بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ النَّسَاءُ يَوْمَ فَتَحِ مَكَّةَ.

وَلِمُسْلِمٍ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النَّسَاءِ.

هَذِهِ أَدَلَّةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ هَذِهِ الْبَيْعَةَ إِنَّمَا صَدَرَتْ بَعْدَ نُزُولِ الْآيَةِ بَلْ بَعْدَ صُدُورِ الْبَيْعَةِ بَلْ بَعْدَ فَتَحِ مَكَّةَ وَإِنَّمَا حَصَلَ الْإِلْتِبَاسُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه حَضَرَ الْبَيْعَتَيْنِ مَعَ بَيْعَةِ الْعُقَبَةِ الْأُولَى وَالْبَيْعَةِ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النَّسَاءِ يَوْمَ الْفَتْحِ.

وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعُقَبَةِ مِنْ أَجْلِ مَا يُمْتَدَحُ بِهِ فَكَانَ يَذْكُرُهَا إِذَا حَدَّثَ تَنْوِيهَا بِسَابِقَتِهِ فَلَمَّا ذَكَرَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ الَّتِي صَدَرَتْ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النَّسَاءِ عَقِبَ ذَلِكَ تَوَهُّمٌ مَنْ لَمْ يَقِفْ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ أَنَّ الْبَيْعَةَ الْأُولَى وَقَعَتْ عَلَى ذَلِكَ.

وَالرَّاجِحُ أَنَّ التَّصْرِيحَ بِذَلِكَ بِأَنَّ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الْأُولَى كَانَتْ عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ وَهُمْ مِنْ بَعْضِ الرُّوَاةِ، هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ فَهُوَ رحمته الله مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَتَنْزِلَاتِهِ، وَالسُّنَّةِ وَطُرُقِ الْجَمْعِ بَيْنَ

رواياتها المختلفة، وبالسيرة وتواريخ الصحابة، وله انتقادات كثيرة صائبة على ابن إسحاق وغيره من كتاب السير وتاريخ الرجال!

والخلاصة: أَنَّ الْمُبَايَعَةَ فِي الْعَقَبَةِ الْأُولَى كَانَتْ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَوْلِ الْحَقِّ وَالْأَلَّا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا إِمَّ وَعَلَى الْوَلَاءِ وَالنُّصْرَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدِينَةُ وَأَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَمَّا الْمُبَايَعَةُ عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ النِّسَاءِ فَقَدْ كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

أَوَّلُ جُمُعَةٍ جُمِعَتْ فِي الْمَدِينَةِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ الْجُمُعَةُ جُمُعَةً لِأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجَمْعِ فَإِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلُّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً بِالْمَسَاجِدِ الْكِبَارِ.

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» وَاخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَةِ الْيَوْمِ لِذَلِكَ فَقِيلَ: لِأَنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جُمِعَ فِيهِ فَأُخْرِجَ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ» قُلْتُ: هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ آبَاكُمْ. هَذَا أَوْضَحُ الْأَقْوَالِ!

وَيَلِيهِ مَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ حِبَّانَ فِي قِصَّةِ تَجْمِيعِ الْأَنْصَارِ مَعَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَعْظِيمُ هَذَا الْيَوْمِ وَتَشْرِيفُهُ وَتَخْصِيصُهُ بِعِبَادَاتٍ يَخْتَصُّ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ.

كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ قَبْلَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «كُنْتُ قَائِدَ أَبِي بَعْدَ مَا ذَهَبَ بَصَرُهُ، وَكَانَ لَا يَسْمَعُ الْأَذَانَ بِالْجُمُعَةِ إِلَّا قَالَ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، إِنَّهُ لَتُعْجِبُنِي صَلَاتُكَ - أَيْ دَعَاؤُكَ - عَلَى أَبِي أَمَامَةَ كُلِّمَا سَمِعْتَ بِالْأَذَانِ بِالْجُمُعَةِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْجُمُعَةَ بِالْمَدِينَةِ فِي حَرَّةِ بَنِي بِيَاضَةَ، فِي نَقِيعٍ يُقَالُ لَهُ: الْخَضَمَاتُ. وَكَانَ مَوْضِعًا يُسْتَنْقَعُ فِيهِ الْمَاءُ.
قُلْتُ: وَكَمْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ رَجُلًا.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ دَارًا لِلْهَجْرَةِ

كَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ دَارًا لِلْهَجْرَةِ وَمَرْكَزًا لِلدَّعْوَةِ عَدَا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ إِكْرَامِ أَهْلِهَا وَأَسْرَارٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ أَنَّهَا امْتَاَزَتْ بِتَحَصُّنٍ طَبِيعِيٍّ حَرْبِيٍّ لَا تَزَاحِمُهَا فِي ذَلِكَ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ فِي الْجَزِيرَةِ فَكَانَتْ حَرَّةً الْوَبْرَةَ مُطْبَقَةً عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ، وَحَرَّةً وَاقِمٍ مُطْبَقَةً عَلَى الْمَدِينَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ.

وَكَانَتْ الْمَنْطَقَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنَ الْمَدِينَةِ هِيَ النَّاحِيَةُ الْوَحِيدَةُ الْمَكْشُوفَةُ، وَهِيَ الَّتِي حَصَّنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْسٍ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، وَكَانَتْ الْجِهَاتُ الْأُخْرَى مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ مُحَاطَةً بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ وَالزُّرُوعِ الْكَثِيفَةِ لَا يَمُرُّ مِنْهَا الْجَيْشُ إِلَّا فِي طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ لَا تَتَّفَقُ فِيهَا وَالنِّظَامُ الْعَسْكَرِيُّ وَلَا مَعَ تَرْتِيبِ الصُّفُوفِ، وَكَانَتْ خَفَارَاتٌ عَسْكَرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ كَافِيَةٌ بِإِفْسَادِ النِّظَامِ الْعَسْكَرِيِّ وَمَنْعِهِ مِنَ التَّقَدُّمِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَانَ أَحَدُ جَانِبَيْ الْمَدِينَةِ عَوْرَةً وَسَائِرُ جَوَانِبِهَا مُشَكَّكَةً بِالْبُنْيَانِ وَالنَّخِيلِ، لَا يَتِمَكَّنُ الْعَدُوُّ مِنْهَا.

وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ أَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي اخْتِيَارِ الْمَدِينَةِ بِقَوْلِهِ لِأَصْحَابِهِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ: «إِنِّي رَأَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَا بَتَيْنِ» وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ أَصْحَابَ نَخْوَةٍ وَإِبَاءٍ وَفُرُوسِيَّةٍ وَقُوَّةٍ
وَشَكِيمَةٍ أَلْفَوْا الْحَرِيَّةَ وَلَمْ يَخْضَعُوا لِأَحَدٍ، وَلَمْ يَدْفَعُوا إِلَى قَبِيلَةٍ أَوْ حُكُومَةٍ إِتَاوَةً
أَوْ جَبَايَةً وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ صَرِيحًا فِي الْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا
نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمَرَةً إِلَّا قَرِئَ أَوْ بِيَعَا.

قَالَ ابْنُ خَلْدُون: وَلَمْ يَزَلْ هَذَانِ الْحَيَّانِ قَدْ غَلَبُوا الْيَهُودَ عَلَى يَثْرَبَ وَكَانَ
الْإِعْتِزَازُ وَالْمَنْعَةُ تُعْرَفُ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَيَدْخُلُ فِي مِلَّتِهِمْ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ قَبَائِلِ
مُضَرَ وَمِنَ الْأَزْدِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ وَهُمَا ابْنَا حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ
وَهُمْ أَعَزُّ النَّاسِ أَنْفُسًا وَأَشْرَفُهُمْ هِمَمًا وَلَمْ يُودُّوا إِتَاوَةً قَطُّ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ!

وَكَانَ بَنُو عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ أَخُوَالَهُ دُنْيَا؛ فَأُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ إِحْدَى
نِسَائِهِمْ؛ فَقَدْ تَزَوَّجَ هَاشِمٌ بِسَلْمَى بِنْتِ عَمْرِو أَحَدِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ وَوَلَدَتْ
لِهَاشِمٍ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ وَتَرَكَهُ هَاشِمٌ عِنْدَهَا حَتَّى صَارَ غُلَامًا دُونَ الْمُرَاهِقَةِ فَذَهَبَ
إِلَيْهِ عَمُّهُ الْمُطَّلِبُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَتْ الْأَرْحَامُ يُحْسَبُ لَهَا حِسَابٌ كَبِيرٌ فِي
حَيَاةِ الْعَرَبِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَمِنْهُمْ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فِي دَارِهِ فِي الْمَدِينَةِ.

كَانَ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ مِنْ قَحْطَانَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَمَنْ سَبَقَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي
مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ عَدَنَانَ.

وَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَامَ الْأَنْصَارُ بِنَصْرِهِ اجْتَمَعَتْ
بِذَلِكَ عَدَنَانُ وَقَحْطَانُ تَحْتَ لِيَاءِ الْإِسْلَامِ وَكَانُوا كَجَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا
مُفَاضَلَةٌ وَمُسَابَقَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَبِذَلِكَ لَمْ يَجِدِ الشَّيْطَانُ سَبِيلًا إِلَى قُلُوبِهِمْ
لِإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ وَالتَّعْزِي بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ بِاسْمِ الْحَمِيَّةِ الْقَحْطَانِيَّةِ أَوْ الْعَدَنَانِيَّةِ،
فَكَانَتْ لِكُلِّ ذَلِكَ مَدِينَةٌ يَثْرَبُ أَصْلَحَ مَكَانٍ لِهَجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
ﷺ وَاتَّخَذَهُمْ لَهَا دَارًا وَقَرَارًا؛ حَتَّى يَقْوَى الْإِسْلَامُ وَيَشُقَّ طَرِيقُهُ إِلَى الْأَمَامِ
وَيَفْتَحَ الْجَزِيرَةَ ثُمَّ يَفْتَحَ الْعَالَمَ الْمُتَمَدَّنَ.

لَمَّا انْتَهَى الْمَوْسِمُ وَانْصَرَفَ الْقَوْمُ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ بَعْدَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ
الْأُولَى بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ شَابًّا مِنْ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ
إِلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رضي الله عنه، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمُ
الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مُضْعَبُ رضي الله عنه يُسَمَّى بِالْمَدِينَةِ الْمُقْرِئِ.

وَكَانَ نَزُولُ مُضْعَبٍ رضي الله عنه بِالْمَدِينَةِ عَلَى السَّابِقِ إِلَى الْخَيْرِ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ
رضي الله عنه.

وَقَدْ نَجَحَ مُضْعَبُ رضي الله عنه أَيَّمَا نَجَاحٍ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ، وَجَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهِ!
فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَطَّى الصُّعَابَ الَّتِي تُوجَدُ دَائِمًا فِي طَرِيقِ كُلِّ نَازِحٍ غَرِيبٍ يُحَاوِلُ
أَنْ يَنْقُلَ النَّاسَ مِنْ مَوْرُوثَاتِ أَلْفُوهَا إِلَى نِظَامٍ جَدِيدٍ يَشْمَلُ الْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ
وَيُعِمُّ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ، وَالْخُلُقَ وَالسُّلُوكَ.

وَمَا كَانَ مُضْعَبُ ﷺ يَمْلِكُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِغْرَاءِ مَا يَطْمَعُ طُلَّابُ الدُّنْيَا وَنَهَازِي الْفُرْصِ، كُلُّ مَا لَدَيْهِ ثَرَوَةٌ مِنَ الْكِيَّاسَةِ وَالْفِطْنَةِ قَبَسَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِخْلَاصُ اللَّهِ جَعَلَهُ يُضْحِي بِمَالِ أَسْرَتِهِ وَجَاهِهَا فِي سَبِيلِ عَقِيدَتِهِ.

ثُمَّ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي يَتَأَنَّقُ فِي تِلَاوَتِهِ وَيَتَخَيَّرُ مِنْ رَوَائِعِهِ مَا يَغْزُو بِهِ الْأَلْبَابَ وَكُلُّهُ رَوَائِعُ فَإِذَا الْأَفْنَدَةُ تَرَقُّ لَهُ وَتَتَفَتَحُ لِلدِّينِ الْجَدِيدِ.

وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدِ مُضْعَبٍ ﷺ سَيِّدَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ﷺ وَبِإِسْلَامِهِمَا أَسْلَمَ جَمِيعُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْأَصِيرِمِ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ، فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحْدِ فَكَانَتْ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهِمَا.

رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ خَرَجَ بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ عَلَى بَيْتٍ يُقَالُ لَهَا: بَيْتُ مَرْقٍ، فَجَلَسَا فِي الْحَائِطِ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ يَوْمَئِذٍ سَيِّدَي قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ.

فَلَمَّا سَمِعَا بِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ، وَنَشَاطِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيْنَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضِعْفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا

دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مَقْدَمًا.

قَالَ فَأَخَذَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْذُقِ اللَّهَ فِيهِ.
قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ: إِنْ يَجْلِسُ أَكَلَّمَهُ.

قَالَ فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضِعْفَانَا؟ اعْتَرِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمْ بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ.

فَقَالَ لَهُ مُصْعَبُ -بِلِسَانِ الْمُؤْمِنِ الْهَادِي الْوَائِقِ مِنْ سَمَاحَةِ دَعْوَتِهِ-: أَوْ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبْلَتُهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ. فَقَالَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبُ بِالْإِسْلَامِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ.

فَقَالَا -أَيُّ مُصْعَبُ وَأَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ.

ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ، كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّيَ.
فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ

قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ
وَسَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ
وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ.

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَسِيدٌ بَغِيرِ
الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ.

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي، قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟

فَقَالَ: كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفَعَلْ
مَا أَحْبَبْتَ. وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ لِيَقْتُلُوهُ،
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُخْفِرُوكَ.

قَالَ فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا؛ تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذَكَرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ
الْحَرْبَةَ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَأَاهُمَا سَعْدٌ
مُطْمَئِنِّينَ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أَسِيدَ بْنَ حُضَيْرٍ إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ
سَعْدٌ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ وَمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُتَشَمِّتًا مُتَشَتِّمًا.

ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ
الْقَرَابَةِ مَا رُمْتُ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ.

وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ قَدْ قَالَ لِمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: لَقَدْ جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدٌ مِنْ
وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعَكَ، لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ.

فَقَالَ مُضْعَبٌ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: أَوْ تَقْعُدُ فَتَسْمَعَ فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبْلَتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ.

قَالَ سَعْدٌ رضي الله عنه: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ. فَعَرَضَ مُضْعَبٌ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ وَقَرَأَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ الزُّخْرُفِ.

قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لِإِشْرَاقِهِ وَتَسْهَلِهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟

قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثِيَابَكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ثُمَّ تُصَلِّي.
قَالَ: فَقَامَ وَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ فَأَقْبَلَ عَائِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَاهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ، لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيَّمُنَا نَقِيبَةً.

قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ قَالَا -أَيُّ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ وَمُضْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ رضي الله عنهما -: فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً، إِلَّا الْأَصِيرِمَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمٍ أُحِدٍ، فَاسْلَمَ وَاسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ وَلَمْ يُصَلِّ لِلَّهِ سَجْدَةً قَطُّ! وَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ!

أَخْرَجَ قِصَّةَ إِسْلَامِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي «السِّيَرَةِ»
وَالْبَيْهَقِيِّ فِي «الدَّلَائِلِ».

وَأَخْرَجَ قِصَّةَ إِسْلَامِ الْأَصْبَرِ يَوْمَ أُحُدٍ وَاسْتِشْهَادِهِ فِيهَا ابْنَ إِسْحَاقَ فِي
«السِّيَرَةِ»، وَأَوْرَدَهَا الْحَافِظُ فِي «الْإِصَابَةِ» وَصَحَّحَ إِسْنَادَهَا.

أَقَامَ مُضْعَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى
لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رَجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

مِنَ الْعَوَامِلِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ

سَاعَدَتْ عَلَى سُرْعَةِ إِسْلَامِ الْأَنْصَارِ عِدَّةُ عَوَامِلٍ هِيَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَيْسِيرِهِ وَصُنْعِهِ، كَانَتْ فَارِقَةً بَيْنَ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ مَكَّةَ وَبَيْنَ قَبَائِلٍ يَثْرِبَ.

مِنْهَا: مَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبَائِلُ يَثْرِبَ مِنَ الرِّقَّةِ وَاللِّينِ وَعَدَمِ الْمُغَالَاةِ بِالْكَبِيرِيَاءِ وَجُحُودِ الْحَقِّ وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى الْخَصَائِصِ الدِّمَوِيَّةِ وَالسَّلَالِيَّةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَمَا وَفَدَ وَفَدَ مِنَ الْيَمَنِ بِقَوْلِهِ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا». وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ تَرْجِعَانِ فِي أَصْلِهِمَا إِلَى الْيَمَنِ نَزَحَ أَجْدَادُهُمَا مِنْهَا فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ قَدْ أَنْهَكَتَهُمَا الْحُرُوبُ الدَّاخِلِيَّةُ وَمَا يَوْمُ بُعَاثٍ بَبْعِيدٍ، اكَتَوْا بِنَارِهَا وَذَاقُوا مَرَارَتَهَا وَعَافَوْهَا وَنَشَأَتْ فِيهِمْ رَغْبَةٌ فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ وَانْتِظَامِ الشَّمْلِ وَالتَّفَادِي مِنَ الْحُرُوبِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ قُرَيْشًا وَسَائِرَ الْعَرَبِ طَالَ عَهْدُهُمْ بِالنُّبُوتِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأَصْبَحُوا يَجْهَلُونَ مَعَانِيَهَا بِطُولِ الْعَهْدِ وَبِحُكْمِ الْأُمِّيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِي الْوُثْيَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْأُمَمِ الَّتِي تَتَسَبَّبُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَتَحْمِلُ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ وَالْعَبَثِ.

أَمَّا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، فَكَانُوا يَسْمَعُونَ الْيَهُودَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ النَّبِيِّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَيَتْلُونَ صُحُفَ التَّوْرَةِ وَيُفَسِّرُونَهَا، بَلْ كَانُوا يَتَوَعَّدُونَهُمْ بِهِ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيَبْعَثُ نَبِيًّا فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرمَ. وَمَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ مِنْ صُحْبَةٍ أَوْلَيْكَ الْأَخْيَارِ وَنُصْرَتِهِمْ ﷺ.

لَمَّا اقْتَرَبَ مَوْسِمُ الْحَجِّ مِنَ السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ! فَتَوَاعَدُوا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْحَجِّ وَمُلَاقَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجُوا مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ وَهُمْ خَمْسُمِائَةٍ حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ مَعَ الْحَجَّاجِ فِي مَنَازِلِهِمْ مُسْتَخْفِينَ بِإِسْلَامِهِمْ، وَكَانَ مَعَهُمْ مُضْعَبُ بَنِي عُمَيْرٍ ﷺ.

فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ جَاءَ مَنَزَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا وَلَمْ يَقْرَبْ مَنَزْلَهُ فَجَعَلَ يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْأَنْصَارِ وَسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَقْصُّ عَلَيْهِ خَبَرَ قَبَائِلٍ يَثْرِبَ وَمَا لَهَا مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ وَدَعَا لَهُ.

ثُمَّ جَرَتْ بَيْنَ الْأَنْصَارِ الثَّلَاثَةِ وَالسَّبْعِينَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اتِّصَالَاتٌ سَرِيَّةٌ أَدَّتْ إِلَى اتِّفَاقِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى أَنْ يَتَجَمَّعُوا فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فِي الشَّعْبِ الَّذِي عِنْدَ الْعُقَبَةِ حَيْثُ الْجَمْرَةُ الْأُولَى مِنْ مَنَى؛ لِإِبْرَامِ اتِّفَاقٍ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ وَأَهَمِّ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَتِمَّ هَذَا الْاجْتِمَاعُ فِي سَرِيَّةٍ تَامَّةٍ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ.

وَأَحَدُ قَادَةِ هَذَا الْاجْتِمَاعِ التَّارِيخِيِّ يَحْكِي مَا كَانَ وَهُوَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ مَعَ حُجَّاجٍ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ صَلَّيْنَا وَفَقَّهْنَا وَمَعَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ كَبِيرُنَا وَسَيِّدُنَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَالَ فَخَرَجْنَا نَسْأَلُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه بِمَكَّةَ، وَكُنَّا لَا نَعْرِفُهُ وَلَمْ نَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ - فَلَقِينَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه.

قَالَ هَلْ تَعْرِفَانِهِ؟

فَقُلْنَا: لَا وَاللَّهِ.

قَالَ: هَلْ تَعْرِفَانِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّهُ؟

قَالَ قُلْنَا: نَعَمْ!

وَكُنَّا نَعْرِفُ الْعَبَّاسَ كَانَ لَا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا تَاجِرًا، قَالَ فَإِذَا دَخَلْتُمَا الْمَسْجِدَ فَهُوَ الرَّجُلُ الْجَالِسُ مَعَ الْعَبَّاسِ، تَرَكْتُهُ مَعَهُ الْآنَ جَالِسًا.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: فَدَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَإِذَا الْعَبَّاسُ جَالِسٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه مَعَهُ جَالِسٌ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِمَا، ثُمَّ جَلَسْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله وسلاماته عليه لِلْعَبَّاسِ: «هَلْ تَعْرِفُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ يَا عَبَّاسُ؟».

قَالَ نَعَمْ، هَذَانِ الرَّجُلَانِ مِنَ الْخَزَرَجِ - وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ إِنَّمَا تُدْعَى فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ أَوْسَهَا وَخَزْرُجَهَا - هَذَا الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، وَهَذَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الشَّاعِرُ؟» قَالَ كَعْبٌ: نَعَمْ!

قَالَ كَعْبٌ: وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ.

فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مِنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ يَا أَبَا جَابِرٍ إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا وَإِنَّا نَرَعُبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطْبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْتُهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ وَكَانَ نَقِيبًا!

قَالَ كَعْبٌ: فَمِنَّمَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ وَهَدَّاتِ الرَّجُلُ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلَّلَ الْقَطَا، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشُّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ مِنْ ذَوِي أَسْنَانِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ، وَثَلَاثُونَ شَابًّا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ ابْنَةُ عَمْرِو أُمِّ مَنِيعٍ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلَمَةَ.

وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ بِالشَّعْبِ يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُمْ وَمَعَهُ
الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمِنْدٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ
ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَقَّعَ لَهُ.

فِي رِوَايَةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ عَمُّهُ
الْعَبَّاسُ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا نَظَرَ
الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِهِمْ قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثُ! وَبَعْدَ أَنْ
تَكَامَلَ الْمَجْلِسُ بَدَأَتِ الْمُحَادَثَاتُ لِإِبْرَامَ التَّحَالُفِ الدِّيْنِيِّ وَالْعَسْكَرِيِّ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com

بداية الحادثة وشرح العباس لخطورة المسؤولية

كَانَ أَوَّلَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَكَلَّمَ؛
لِيُشْرَحَ لَهُمْ بِكُلِّ صَرَاحَةٍ خُطُورَةِ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي سَتَلْقَى عَلَى كَوَاهِلِهِمْ نَتِيجَةً
هَذَا التَّحَالُفِ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ
الْأَنْصَارِ خَزَرَجَهَا وَأَوْسَهَا -، إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ
قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ
قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَازَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا
دَعَاكُمْ إِلَيْهِ وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَانْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ
تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ
وَمَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ!

قَالَ كَعْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخُذْ
لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ
وَرَغَبَ فِي الْإِسْلَامِ، فَأَجَبْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ، وَأَمَّنَّا بِهِ وَرَضِينَا بِمَا قَالَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ وَعَلَى
النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ

تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا يَأْخُذْكُمْ فِيهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَبْنَاءُكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَنَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلَقَةِ، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ -يَعْنِي الْيَهُودَ- حِجَابًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا، فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «بَلِ الدَّمُ الدَّمُ وَالْهَدْمُ الْهَدْمُ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ».

فَقَالَ لَهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَبَايَعُكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِيَكُونُوا عَلَيَّ قَوْمُهُمْ بِمَا فِيهِمْ» فَتَمَّ انْتِخَابُهُمْ فِي الْحَالِ؛ وَكَانُوا تِسْعَةً مِنَ الْخَزَرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنَ الْأَوْسِ.

وَأَسْمَاؤُهُمْ:

* نَقِيبَاءُ الْخَزَرَجِ:

نَقِيبُ بَنِي النَّجَّارِ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ.

نَقِيبُ بَنِي سَلَمَةَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ وَالِدِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَنَقِيبُ بَنِي سَاعِدَةَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرٍو.

وَنَقِيبُ بَنِي زُرَيْقٍ: رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ الْعَجَلَانِ.

وَنَقِيبُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ.

نَقِيبَ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ.

* نَقَبَاءُ الْأَوْسِ:

نَقِيبُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

نَقِيبُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ: سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ وَرِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه.

بَعْدَ أَنْ تَمَّتِ الْمُحَادَثَةُ حَوْلَ شُرُوطِ الْبَيْعَةِ وَأَجْمَعُوا عَلَى الشُّرُوعِ فِي عَقْدِهَا قَامَا رَجُلَانِ مِنَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ مِمَّنْ أَسْلَمَ فِي مَوَاسِمِ سِتِّي الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ وَالثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْبَعْثَةِ.

قَامَ أَحَدُهُمَا تَلُوَ الْآخِرَ؛ لِيُؤَكِّدَا لِلْقَوْمِ خُطُورَةَ الْمَسْئُولِيَّةِ، حَتَّى لَا يُبَايِعُوهُ إِلَّا عَلَى وُضُوحٍ مِنَ الْأَمْرِ وَلِيَعْرِفَا مَدَى اسْتِعْدَادِ الْقَوْمِ لِلتَّضَحُّيَةِ وَالْفِدَاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا اجْتَمَعُوا لِلْبَيْعَةِ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟

قَالُوا: نَعَمْ قَالَ إِنَّمَا تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا نَهَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مُصِيبَةً وَأَشْرَافَكُمْ قَتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنْ

الآن فهو والله - إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة! وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإننا نأخذهُ على مُصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟
قال عليه السلام: «الجنة».

قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

وفي رواية جابر عند ابن حبان في «صحيحه» والإمام أحمد في «مسنده» قال: فأخذ أسعد بن زرارة بيد رسول الله ﷺ وهو أصغر السبعين، فقال: رؤيدا يا أهل يثرب، إننا لم نصرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجهُ اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مسّتكم، وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله ﷻ، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروهُ، فهو أعذر عند الله.

فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيها.

ثم قال رسول الله ﷺ للنقباء: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم عليه السلام، وأنا كفيل على قومي» - يعني المسلمين -.

قالوا: نعم.

فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْهِمْ بَشْرُطَهُ - أَيِ بَشْرُطِ الرَّسُولِ ﷺ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَيُعْطِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ.

كَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ» بِسَنَدٍ حَسَنٍ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْعَةِ لَهُ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ لَيْلَةَ إِذِ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ إِذْ أَكَّدَ الْعَهْدَ وَبَادَرَ إِلَيْهِ.

لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ الْمَرَاتِنِ قَوْلًا مِنْ غَيْرِ مُصَافَحَةٍ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يُصَافِحُ النِّسَاءَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْخُذُ عَلَيْهِنَّ فَإِذَا أَقْرَرْنَ قَالَ: «أَذْهَبْنَ فَقَدْ بَايَعْتُنَّ».

شَيْطَانُ يَكْتَشِفُ الْمَعَاهِدَةَ

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: فَلَمَّا بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعُقْبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ - وَالْجَبَاجِبُ الْمَنَازِلُ - يَا أَهْلَ الْجَبَاجِبِ هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ.

وأيضاً: هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ وَالصُّبَاةُ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم «هَذَا أَزْبُ الْعُقْبَةِ - اسْمُ شَيْطَانٍ كَانَ بِالْعُقْبَةِ - هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمِعْ أَيَّ عَدُوِّ اللَّهِ أَمَّا وَاللَّهِ لَا فَرْغَ لَكَ».

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنُ نَضْلَةَ رضي الله عنه لِلرَّسُولِ صلی اللہ علیہ وسلم: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنِّي غَدًا بِأَسْيَافِنَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی اللہ علیہ وسلم «لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ»، فَارْجِعُوا وَنَامُوا حَتَّى أَصْبَحُوا.



قُرَيْشٌ تَقْدُمُ الْاِخْتِجَاجَ إِلَى رُؤُوسِ يَثْرِبَ

لَمَّا قَرَعَ هَذَا الْخَبْرَ أَذَانَ قُرَيْشٍ وَقَعَتْ فِيهِمْ ضَجَّةٌ أَثَارَتْ الْقَلَاقِلَ وَالْأَحْزَانَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مَعْرِفَةٍ تَامَّةٍ مِنْ عَوَاقِبِ مِثْلِ هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَنَتَائِجِهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فَمَا أَنْ أَصْبَحُوا حَتَّى تَوَجَّهَ وَفْدٌ كَبِيرٌ مِنْ زُعَمَاءِ مَكَّةَ وَأَكَابِرِ مُجَرِّمِيهَا إِلَى مَنَازِلِ أَهْلِ يَثْرِبَ فِي مَنْى.

فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ الْخَزَرَجِ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا وَتُبَايَعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا. وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ أَبْغَضَ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ تَنْشُبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْكُمْ، فَانْبَعَثَ مَنْ هُنَاكَ مِنْ مُشْرِكِي قَوْمِنَا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ وَمَا عَلِمْنَاهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ -يَعْنِي زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ - أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بِنِ سَلُولٍ فَجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ وَمَا كَانَ هَذَا وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا، لَوْ كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّى يُؤَامِرُونِي!

أَمَّا الْمُسْلِمُونَ فَنَظَرُوا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَازِدُوا بِالصَّمْتِ فَلَمْ يَتَحَدَّثْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِنَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ.

وَصَدَّقَ زُعَمَاءُ قُرَيْشٍ الْمُشْرِكِينَ مِنْ يَثْرِبَ فَارْجَعُوا خَائِبِينَ.



تَأْكُدُ الْخَبَرَ لَدَى قُرَيْشٍ وَمُطَارَدَةُ الْمُبَایِعِينَ

وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِنًى، فَتَنَطَّسَتْ قُرَيْشُ الْخَبَرَ، فَوَجَدُوا أَنَّ الْخَبَرَ صَحِيحٌ
وَأَنَّ الْبَيْعَةَ قَدْ تَمَّتْ فِعْلًا، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا.

فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَفِرَّ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَأَخَذُوهُ
فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ وَيَجَذِبُونَهُ بِشَعْرِهِ
وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ.

قَالَ سَعْدٌ: فَوَاللَّهِ، إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ رَجُلٌ
وَضِيءٌ أَبْيَضٌ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ هَذَا، قَالَ
فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا وَاللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ
بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ!

قَالَ سَعْدٌ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ آوَى لِي رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ
مَعَهُمْ فَقَالَ وَيْحَكَ أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ؟

قَالَ قُلْتُ: بَلَى، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرٌ لِحَبِيبِ بْنِ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ تِجَارَةً
وَأَمْنَعُهُمْ - أَيْ تِجَارَتُهُمْ - مِمَّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بِيَلَادِي، وَلِلْحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ،
قَالَ: وَيْحَكَ فَاهْتِفْ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، وَادْكُرْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا.

قَالَ فَفَعَلْتُ، وَخَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَيْهِمَا فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ.
فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْخَزَرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ يَهْتَفُ بِكُمَا، وَيَذْكُرُ
أَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جَوَارًا.

قَالَا: مَنْ هُوَ؟

قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

قَالَا: صَدَقَ وَاللَّهِ إِنْ كَانَ لَيُجِيرُ لَنَا تَجَارَنَا، وَيَمْنَعُهُمْ أَنْ يُظْلَمُوا بِبَلَدِهِ.

قَالَ فَجَاءَا فَخَلَصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَانْطَلَقَ.

وَكَانَ الَّذِي لَكُمْ سَعْدًا، سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو وَكَانَ الرَّجُلُ الَّذِي آوَى إِلَيْهِ أَبَا
الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ اتَّمَرَتْ حِينَمَا فَقَدُوا سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكْرُوا
إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ فَرَحَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ.

ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْعُقْبَةِ الثَّانِيَةِ بَيْعَةَ الْحَرْبِ؛
حَيْثُ أَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ وَكَانَ هَذَا مِنْ أَوْهَامِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَلَى
جَلَالَتِهِ؛ فَالْجِهَادُ لَمْ يُشْرَعْ إِلَّا فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ وَقَدْ وَافَقَ ابْنُ إِسْحَاقَ
عَلَى هَذَا الْوَهْمِ ابْنُ هِشَامٍ أَيْضًا.

رَوَى الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ
شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعُقْبَةِ حَيْثُ تَوَاقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي
بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا!

بِيعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ

هَذِهِ هِيَ بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْكُبْرَى تَمَّتْ فِي جَوْ تَعْلُوهُ
عَوَاصِفُ الْحُبِّ وَالْوَلَاءِ وَالتَّنَاصُرِ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالثِّقَةِ وَالشَّجَاعَةِ
وَالِاسْتِيسَالِ فِي هَذَا السَّبِيلِ فَمُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ يَحْنُو عَلَى أَخِيهِ الْمُسْتَضْعَفِ
فِي مَكَّةَ وَيَتَعَصَّبُ لَهُ وَيَغْضَبُ مِنْ ظَالِمِهِ، وَتَجِيشُ فِي حَنَائِهِ مَشَاعِرُ الْوُدِّ لِهَذَا
الْأَخِ الَّذِي أَحَبَّهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ!

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَشَاعِرُ وَالْعَوَاطِفُ نَتِيجَةُ نَزْعَةٍ عَابِرَةٍ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ
الْمَشَاعِرُ وَالْعَوَاصِفُ نَتِيجَةُ نَزْعَةٍ عَابِرَةٍ تَزُولُ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ بَلْ كَانَ مَصْدَرُهَا
الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِكِتَابِهِ هُوَ إِيْمَانٌ لَا يَزُولُ أَمَامَ أَيِّ قُوَّةٍ مِنْ قُوَاتِ الظُّلْمِ
وَالْعُدْوَانِ.

لَمَّا رَجَعَ الْأَنْصَارُ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ
أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِهِ وَدَعَوْا أَهْلِيهِمْ إِلَيْهِ.



إِسْلَامُ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ ﷺ

كَانَ مِنْ قَوْمِهِمْ بَقَايَا مِنْ شُيُوخٍ لَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الشَّرِكِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ سَادَاتِ بَنِي سَلَمَةَ وَأَشْرَافِهِمْ كَانَ ابْنُهُ مُعَاذُ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِهَا.

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ قَدْ اتَّخَذَ فِي دَارِهِ صَنْمًا مِنْ خَشَبٍ يُقَالُ لَهُ مَنَاةٌ كَمَا كَانَتْ الْأَشْرَافُ يَصْنَعُونَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلَمَةَ، مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَابْنُهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ فِتْيَانٍ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْعَقَبَةَ، كَانُوا يُدْلِجُونَ بِاللَّيْلِ عَلَى صَنْمِ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ، فَيَحْمِلُونَهُ فَيَطْرَحُونَهُ فِي بَعْضِ حُفْرِ بَنِي سَلَمَةَ وَفِيهَا عِذْرُ النَّاسِ - وَهُوَ الْغَائِطُ الَّذِي يُلْقِيهِ النَّاسُ - مُنْكَسًا عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا أَصْبَحَ عَمْرُو قَالَ: وَيْلَكُمْ مَنْ عَدَا عَلَى إِلَهِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ ثُمَّ يَغْدُو يَلْتَمِسُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلصَّغِيرَةِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ مَنْ فَعَلَ بِكَ هَذَا لَأَخْزَيْتُهُ! وَلَمْ لَا يَفْعَلْ هُوَ؟ أَلَيْسَ مَعْبُودًا؟!

فَإِذَا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرُو عَدَوْا عَلَيْهِ فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَغْدُو فَيَجِدُهُ فِي مِثْلِ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى فَيَغْسِلُهُ وَيُطَهِّرُهُ وَيُطَيِّبُهُ، ثُمَّ يَعْدُونَ عَلَيْهِ إِذَا أَمْسَى فَيَفْعَلُونَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ اسْتَخْرَجَهُ مِنْ حَيْثُ أَلْقَوْهُ يَوْمًا فَغَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ وَطَيَّبَهُ. ثُمَّ جَاءَ بِسَيْفِهِ فَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لِلصَّغِيرَةِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ مَنْ يَصْنَعُ بِكَ مَا أَرَى، فَإِنْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ فَاثْبَتِي فِيهِ هَذَا السَّيْفُ مَعَكَ!

فَلَمَّا أَمْسَى وَنَامَ عَمْرُو عَدَوْا عَلَيْهِ فَأَخَذُوا السَّيْفَ فِي عُنُقِهِ ثُمَّ أَخَذُوا كَلْبًا مَيِّتًا فَقَرَنُوهُ بِهِ بِحَبْلِ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي بئرٍ مِنْ آبَارِ بَنِي سَلَمَةَ فِيهَا عَذْرُ النَّاسِ وَغَدَا عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ، فَخَرَجَ يَتَّبِعُهُ حَتَّى إِذَا وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبئرِ مُنْكَسًا مَقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ، وَبَانَ لَهُ صَوَابُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ وَعَلِمَ أَنَّهَا أَصْنَامٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، فَمَا إِنْ كَلَّمَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى أَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ ﷺ!

وَقَالَ حِينَ اسْتَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ يَذْكُرُ صَنْمَهُ هَذَا وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَيَشْكُرُ اللَّهَ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالِ:

وَاللَّهُ لَوْ كُنْتَ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ	أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بِئرٍ فِي قَرْنٍ
أَفٍّ لِمَلَقَاكَ إِلَهًا مُسْتَدِنٌ	الآن فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الْغَبْنِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْمَنَنِ	الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دَيَّانِ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ	أَكُونَ فِي ظُلْمَةٍ قَبْرِ مُرْتَهَنٍ

بِأَحْمَدَ الْمَهْدِيِّ النَّبِيِّ الْمُؤْتَمَنِ ﷺ.

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ هِجْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

خاتمة

وَبَعْدُ، فَهَذَا مَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَمْعٍ وَتَرْتِيبٍ وَقِرَاءَةٍ وَتَعْلِيقٍ لِمَا يَتَعَلَّقُ
بِالسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَهِيَ
مَجْمُوعَةٌ مِنْ كَلَامٍ مُؤَلَّفٍ السَّيْرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْقَدَامَى وَالْمُحَدِّثِينَ
لَيْسَتْ قِرَاءَةً فِي كِتَابٍ بَعَيْنِهِ وَلَا تَعْلِيقًا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لِي فِيهَا سِوَى الْجَمْعِ
وَالْتَرْتِيبِ وَبَعْضِ التَّعْلِيقِ فِي مَوَاضِعَ مِنْهُ وَلِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ وَجُودِهِ وَنِعْمَتِهِ فِي دَوْرَةِ اللَّيْلِ بْنِ
سَعْدِ الْإِمَامِ - رَحِمَهُ الْمَلِكُ الْعَلَامُ - الْمَعْقُودَةِ بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ مِنْ يَوْمِ الْأَحَدِ
التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمَوْافِقِ
لِلتَّاسِعِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَأَلْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلَيبِيِّ إِلَى يَوْمِ
الْخَمِيسِ الثَّلَاثِ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَامِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَأَلْفِ مِنْ
هِجْرَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَوْافِقِ لِلثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبَرِ سَنَةِ ثَمَانِي
عَشَرَ وَأَلْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلَيبِيِّ.

وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الدَّوْرَةُ - بِفَضْلِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ وَحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَجُودِهِ وَمِنَّتِهِ -
بِالْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ بِسُبُكِ الْأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ الْمُنَوَفِّيَةِ بِمُضَرَ حَفِظَهَا اللَّهُ
تَعَالَى مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَشَرٍّ وَشِرْكٍَ وَبِدْعَةٍ وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَتُبْ عَلَيْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



جامع منہاج النبوة

www.menhag-un.com